منهجيَّة هايدغر في نقد التكنولوجيا العبثيَّة
دحض وثنية الآلة

خشايار برومند
باحث وأستاذ في الفلسفة .جامعة طهران

حسين الحسيني
باحث في فلسفة العلم- جامعة طهران- إيران

ملخّص إجمالي

يُعدُّ تناول التكنولوجيا وماهيَّتها من أبرز الموضوعات التي حظيت بالاهتمام في المنظومة الفكريَّة لدى الفيلسوف الألمانيِّ مارتن هايدغر. ورغم الاختلاف الكبير بين توجُّهاته وما نلاحظه في فلسفة التكنولوجيا السائدة، فإنَّ بالإمكان مشاهدة آثار الأفكار الموجودة في تفكيره في فلسفة التكنولوجيا المعاصرة، بل وحتَّى في الفلسفة التحليليَّة بشكل واضح أيضًا.

سوف نعمد في هذا البحث، أوَّلاً إلى إيضاح ماهيَّة التكنولوجيا الحديثة على أساس المنهج الفكريِّ لهايدغر. ثانياً، إلى تحليلها ومعرفة ماهيَّتها كمقدِّمة لفهم المخاطر التي تُهدِّد الإنسان المعاصر. وثالثاً، وبعد اتِّضاح مفهوم الجستالت (gestalet) بوصفه ماهيَّة جوهرية للتكنولوجيا الحديثة، ومخاطر سيادة هذا المفهوم على العالم الذي نعيش فيه، سوف نعرض إلى رؤية هايدغر بصدد التحرُّر من عالم التكنولوجيا العبثيَّة. في السياق نفسه سنطلُّ أيضًا على دعواه القائلة بأنَّ نجاة الإنسان المعاصر تكون ممكنة من خلال قيام نموذج جديد يقدِّم إدراكًا مستحدثًا عن الكائنات. ذلك بأنَّ التحرُّر من الأشياء عبر الاتِّصال بالتفكير المعنويِّ والروحيِّ، من شأنه أنْ يُحقِّق استعداد الإنسان لظهور وتبلور هذا النموذج. وفي الختام سوف نستعرض الانتقادات الموجهة إلى منهجيَّة هايدغر فيما يتعلَّق بالتكنولوجيا الحديثة.

* * *

مفردات مفتاحيَّة: التكنولوجيا العبثيَّة - النسبة الحرَّة - الفلسفة التحليليَّة - المعنى الأنطولوجيّ - هايدغر.

العدد الرابع عشر - 1447هـ - صيف 2025م

تمهيد

يشكِّل السؤال عن التكنولوجيا في منظومة هايدغر الفكريَّة استفسارًا عميقًا عن طبيعة الفكر الذي خيَّم على أنحاء الحياة البشريَّة في عصرنا. ولا نبالغ لو قلنا باستحالة التعرُّف على العالم الرَّاهن - الذي يُشكِّل التفكير التكنولوجيُّ أحد أركانه الرئيسة - من دون التأمُّل في حقل التكنولوجيا.

ورغم أنَّ الملاحظات التاريخيَّة تشير إلى أنَّ نسبة التقنيَّة للإنسان إلى كلِّ ما هو قائم وموجود قد ظهرت في بداية الأمر في أُوروبا[1]، إلَّا أنَّ الرؤية التقنيَّة هي التي تحكم الكرة الأرضيَّة من أقصاها إلى أقصاها، لذا فمن المؤكَّد أنَّ عدم الاهتمام الفكريِّ بهذه الرؤية، يمنعنا من الاستعداد للتحوُّل الآخذ بالتبلور والظهور في هذا العصر[2].

في ما يتعلَّق بالسؤال عن التكنولوجيا، يسعى هايدغر لإظهار الرؤية التكنولوجيَّة من خلال السؤال عن ماهيَّتها. وفي هذا الإطار، يُؤكِّد على إقامة نسبة حرَّة معها، ويقول في هذا الصدد: «إنَّنا نعمل على طرح السؤال بشأن التكنولوجيا، ونسعى من خلال ذلك لإقامة نسبة حرَّة معها. هذه النسبة إنَّما تكون حرَّة من حيث إنَّها تضع وجودنا البشريَّ في معرض الماهيَّة التكنولوجيَّة[3]».

من هنا يظهر السؤال التالي: ما مراد هايدغر من إقامة النسبة الحرَّة مع التكنولوجيا؟ وما علاقة النسبة الحرَّة بالتساؤل؟ نحن نستطيع أنْ نقيم نسبة حرَّة مع التكنولوجيا إذا تخلَّينا عن نبذ أو اعتناق التكنولوجيا بشكل أعمى، وأنْ نُمهِّد الطريق لكشف ماهيَّة التكنولوجيا من خلال فتح باب السؤال والاستفهام. إنَّ ارتباط التساؤل بالنسبة الحرَّة يكمن في سعي السائل إلى العمل على انكشاف ماهيَّة الموضوع مورد السؤال بالنسبة إليه. بيد أنَّ الفرد الذي يهاجم التكنولوجيا من دون أدنى تأمُّل أو تفكير، أو أنْ يعتنقها ويقبل بها من دون أدنى تردُّد أو تشكيك، أو يعتبر التكنولوجيا أمرًا منفعلاً وخاضعًا لسيطرة الإنسان بالكامل[4]، يرى نفسه منذ البداية مالكًا لناصية الحقيقة، ومن خلال إصراره على القوالب النظريَّة المسبقة.. فإنَّ ذلك كلَّه لا يسمح بظهور ماهيَّة التكنولوجيا.

لقد صرَّح هايدغر بأنَّه غالبًا ما يتمُّ طرح تعاريف آليَّة وإنسانيَّة في معرض السؤال عن ماهيَّة التكنولوجيا. وطبقًا لهذه التعاريف نجد أنَّ «التكنولوجيا عبارة عن وسيلة ونشاط بشريّ»[5].

---

[1]- هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى. (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، ص 126، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.

[2]- المصدر السابق، ص 127.

[3]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، المنشور في فلسفة التكنولوجيا، ص 4، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: شاپور اعتماد، نشر: مركز، طهران، 1389هـ ش.

[4]- المصدر السابق، ص 5.

[5]- المصدر السابق.

وقد ذهب إلى القول بأنَّ هذه التعاريف وإنْ كانت صحيحة، ولكنَّها ليست حقيقيَّة[1]. بمعنى أنَّ هذه التعاريف تُبقينا على السطح، وتمنعنا من الوصول إلى الطبقات الأعمـق التي تمُثِّل ماهيَّـة التكنولوجيا. ورغـم أنَّه لا يرى التعريــف الآلي للتكنولوجيا مبيِّنًا لحقيقتها، إلاَّ أنَّه في الوقت ذاته لا يراه تعريفًا خاطئًا لها. بيد أنَّ الذي يسعى له هو بيان هذه النقطة، وهي أنَّ ماهيَّة التكنولوجيا تكشف عن حقيقة أعمق بكثير من تعريفها الآليِّ والإنسانيّ. وفي الحقيقة، إنَّ الذي يجعل من جميع أنواع النشاط التقنيِّ أو إنتاج الشيء التكنولوجيِّ أمرًا ممكنًا هو نمط النظر إلى الأشياء، والذي يتحقَّق من خلال ظهور الشيء للإنسان، وهذه الرؤية هي التي تجعل من التكنولوجيا أمرًا ممكنًا بوصفها أداة ونشاطًا إنسانيًّا. وبعبارة أُخرى: إنَّ التكنولجيا بالمعنى الأنطولوجيّ[2]، تمُثِّل أساسًا لها في المعنى الخاصِّ بالوجود الحقيقيّ[3] أو حقيقة الوجود[4]. إنَّ الوقوف على سطح وظاهر التعريف الصحيح لها يعني عدم وصولنا إلى الطبقة الجوهريَّة، أو التكنولوجيا بالمعنى الأنطولوجيّ. وفي هذه المقالة سوف نتعرَّض - بعد جولة على العناصر الأساسيَّة في المنظومة الفكريَّة لهايدغر في ما يتعلَّق بموضوع التكنولوجيا - إلى اشتمال منهجه على بعض النواقص في ما يتعلَّق بطريقة تعاطيه مع الأدوات التكنولوجيَّة.

يمكن تقديم العناصر الأساسيَّة في منظومته الفكريَّة على النحو التالي:

أولًا: الجشتال كمفهوم ومنهج[5]

إنَّ الاختلاف بين التكنولوجيا بمعنى الوجود الحقيقيِّ أو حقيقة الوجود، وبين التكنولوجيا بالمعنى الأنطولوجيّ، هو في الحقيقة اختلاف بين الأشياء والنشاطات التكنولوجيَّة (حقيقة الوجود) وبين الماهيَّة التكنولوجيَّة (الأنطولوجيَّة). وعلى هذا الأساس، فإنَّ إيضاح ماهيَّة التكنولوجيا الحديثة يعني الوصول إلى جوهرها الأنطولوجيِّ، والتأمُّل والتدبُّر فيها يجعلنا على استعداد كامل للتعاطي المناسب مع التكنولوجيا في العالم المعاصر[6].

---

[1]- المصدر السابق، ص 6 و7.

[2]- **ontological**

[3]- **ontic**

[4]- آيدي، دن، هنر وتكنولوژى: فلسفه پديدارشناختى هايدگر در باب تكنولوژى (الفنُّ والتكنولوجيا: الفلسفة الظاهراتيَّة لهايدغر في حقل التكنولوجيا)، منشور في فلسفة التكنولوجيا، أعدَّه وترجمه إلىٰ اللغة الفارسية: شاپور اعتماد، ص 50، نشر: مركز، طهران، 1389هـ ش.

[5]- عن الُّلغة الألمانيَّة (Ge-Stell)، وفي الُّلغة الإنكليزيَّة (gestalt). الجشتال أو الجشتالت (gestalt): بنية أو صورة من الظواهر الطبيعيَّة أو البيولوجيَّة أو السيكولوجيَّة المتكاملة بحيث تُؤلِّف وحدة وظيفيَّة ذات خصائص لا يمكن استمدادها من أجزائها بمجرَّد ضمِّ بعضها إلى بعض. ومفهوم الـ (جشتال) في المنظومة الفكريَّة لهايدغر هو مجموع الموادِّ والعناصر الدخيلة في عمليَّة الإنتاج، وكذلك الإطار الذي يحيط بحياتنا المعاصرة، ويرى هايدغر أنَّ الجشتال بمنزلة خلفيَّة الفلم التي نشاهد - على أساسها - كلَّ الأشياء، وعليه فإنَّ هذا المفهوم هو الذي يمنح الأشياء مفهومها ومعناها. المعرِّب.

[6]- **Pattison, George (2000). The Later Heidegger, New York: Routledge. P.66.**

تتعلَّق ماهيَّة التكنولوجيا الحديثة - طبقًا لرؤية هايدغر - بنمط خاصٍّ من ظهور الأشياء للإنسان، والتي أضحت هي الغالبة مع ظهور المرحلة الحديثة المتأخِّرة[1] أو عصر التكنولوجيا. والأساس الأنطولوجيُّ لهذه التكنولوجيا هو النمط الخاصُّ ذاته لظهور الأشياء للإنسان، والذي على أساسه ينخفض الشيء إلى مستوى المصدر القابل للاستهلاك أو الحفظ والخزن أو النبذ، حيث يعمد الإنسان إلى اختيار أيٍّ منهما طبقًا لحساباته الخاصَّة، ويتمُّ فهم كلِّ شيء بوصفه كائنًا أو مصدرًا للانتفاع والاستفادة القصوى من قِبَل الإنسان[2]. وعلى هذا الأساس، فإنَّ كلَّ شيء - طبقًا للتفكير التكنولوجيِّ - على حدِّ تعبير (درايفوس)، يُعتَبر بمثابة مصدر تتمُّ الاستفادة منه ما دامت هناك حاجة إليه ثمّ يتمُّ نبذه والاستغناء عنه[3]. هذه الرؤية التي ينخفض على أساسها ما هو موجود - بفقدان معناه - إلى مصدر لاستهلاك الإنسان، يمكن مشاهدته في اللُّغة المعاصرة بوضوح. في عالم التكنولوجيا يُطلَق على الأشياء الطبيعيَّة عنوان المصادر الطبيعيَّة، ويتحوَّل الكتاب إلى مصدر لتخزين المعلومات، ويتمُّ تحديد القيمة حتَّى للوقت أيضًا. ولعلَّ ما قاله بيل غيتس بشأن عدم جدوائيَّة الدِّين بحسب تخصيص المصادر الزمنيَّة يعكس هذه الرؤية[4]. وهذه المسألة تُثبِت أنَّ الدِّين في مثل هذا التفكير بدوره يتمُّ فهمه بحسب المفاهيم التكنولوجيَّة من قبيل الاستثمار.

لا بدَّ من الالتفات إلى أنَّ ظهور كلِّ شيء في إطار مصدر استهلاكيٍّ فاقدٍ للمعنى وقابلٍ للتقدير، يقترن بنوع من التعرُّض من قِبَل الإنسان تجاه الطبيعة. وقد أشار مارتين هايدغر إلى هذه النقطة قائلًا: إنَّ الانكشاف الحاكم على التكنولوجيا الحديثة يُعَدُّ نوعًا من التعرُّض؛ وهو التعرُّض الذي يضع الطبيعة في مواجهة هذا التوقُّع الاعتباطيِّ في أنْ يكون ضامنًا للطاقة، كي يغدو بالإمكان استخراج الطاقة بما هي طاقة من صُلب الطبيعة وادِّخارها. ولكن ألَا يصدق هذا الأمر بالنسبة إلى الطواحين القديمة التي تعمل بقوَّة الرياح؟ كلَّا، فإنَّ مراوح هذه الطواحين وإنْ كانت تعمل بقوَّة الرياح، وأنَّها تتوقَّف بالكامل على هبوب الرياح، ولكنَّها لا تعمل على حبس الطاقة الحاصلة بفعل الرياح، كي تتمكَّن من ادِّخارها[5].

---

[1]- لقد استعملنا مصطلح المرحلة الحديثة المتأخِّرة اعتمادًا على تحليل لين تامسون (Iain Thomson) للمنظومة الفكريَّة لهايدغر.

[2]- بيمل، فالتير، بررسى روشنگرانه انديشه هاى مارتين هايدگر (دراسة توضيحيَّة لأفكار مارتين هايدغر)، ترجمه إلى اللُّغة الفارسيَّة: بيژن عبد الكريمي، ص 196، انتشارات: صدا وسيماى جمهورى اسلامى ايران، نشر: سروش، طهران، 1387هـ ش؛ هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 18؛ وانظر أيضًا:

Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press. P. 25; Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 84.

[3]- Dreyfus, Hubert (2002). 'Heidegger on Gaining a Free Relation to Technology' in Heidegger Reexamined Volume 3: Art, Poetry and Technology, Hubert Dreyfus (ed.), New York: Routledge. P. 165.

[4]- Ridling, Zaine (2001). The Lightness of Being: A Comprehensive Study of Heidegger's Thought, Access Foundation Kansas City, Missouri. P.576.

[5]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 15.

لقد كانت الطبيعة في التكنولوجيّات القديمة تحافظ على استقلالها، ولا تنخفض إلى مصدر للطاقة. فالطاحونة الهوائيَّة هي التي تتناغم مع الرياح، وبذلك تكون حاجتها المباشرة إلى الرياح محسوسة على الدوام، في حين أنَّ الطبيعة في التكنولوجيا الحديثة هي مصدر الطاقة الوحيد الخاضع لسيطرة الإنسان. وإذا كانت الزراعة في يوم ما تعني المراقبة والرعاية، فإنَّ التعرُّض للطبيعة في الوقت الراهن قد أحدث تغيُّرًا في الزراعة أيضًا. هذا النوع من عبارات هايدغر هو من الموارد التي سنعمل على الاستفادة منها في ختام هذه المقالة في إطار نقد طريقة تعاطيه مع التكنولوجيا. وقد عمد إلى توصيف نموذج من هذا التعرُّض، قائلًا: إنَّ الزراعة ليست اليوم سوى تصنيع الطعام آليًّا. حيث يتمُّ حاليًّا معالجة الهواء ليُخرج ما فيه من النيتروجين، ويتمُّ معالجة الأرض ويتمُّ استخراج معادنها، كما يتمُّ التعرُّض للموادِّ المعدنيَّة بدوره، ومن ذلك - على سبيل المثال - معالجة اليورانيوم، حيث تتمُّ الاستفادة منه بوصفه مصدرًا للطاقة التي يمكن توظيفها في المجالات السلميَّة، كما يمكن توظيفها في تدمير الحياة[1].

وفي كلمة واحدة يتمُّ فهم كلِّ شيء - في التفكير التكنولوجي - بوصفه مصدرًا للاستهلاك البشريّ. وقد أشار ريتشارد رويتسويتش[2] - من خلال تركيزه على المفردة الألمانيَّة (Bestand) - إلى أنَّ عبارة «المصدر الاستهلاكي» تُعتَبر مرادفًا ناقصًا لهذه المفردة. ويشير هايدغر من خلال استعماله لمفردة (Bestand) إلى مصدر للاستهلاك البشريّ، والذي تكمن أهمّيّته الوحيدة في رفع حاجته، وبعد الاستعمال الكامل، يتمُّ نبذه بكلِّ بساطة. وبعبارة أُخرىٰ: إنَّ مراد هايدغر من استعمال هذه المفردة ليس مجرَّد الإشارة إلى المعطى الاستهلاكيّ، وإنَّما هو يشير إلى نوع من الاستهلاك الذي لا تُرى فيه أيُّ استقلاليَّة أو أهمّيَّة للأشياء[3]. وهو يُطلِق على هذا النمط من الانكشاف - الذي يظهر فيه الأمر الواقع نفسه بوصفه مصدرًا للاستهلاك فاقدًا للأهمّيّة (لا أهمّيَّة له سوى تلبية الحاجة الاستهلاكيَّة للإنسان) - مصطلح الـ «جشتال»[4](Ge-stell). هذا المصطلح مؤلَّف كما هو واضح من كلمتين، وهما: (Ge) و(stell)، والجزء الأوَّل أو السابقة (Ge) تعني الجمع والحصر والاستيعاب

---

[1]- المصدر السابق، ص 16.

[2]- **Richard Rojcewicz.**

[3]- **Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 83 - 84.**

[4]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 27.

الشامل[1]، والجزء الثاني (stell) يدلُّ على التحميل والتعرُّض[2]. وعلى هذا الأساس يشير في الحقيقة إلى نوع من الجمع والحصر الشامل في الإطار الذي يتحقَّق فيه التحميل والتعرُّض، وهذا المعنى ينسجم مع الانكشاف الحاكم على العصر التكنولوجيِّ الذي تمَّت الإشارة إليه.

الجشتال يدعو الناس إلى المعارضة، كي يتمَّ الكشف عن الأمر الواقع بوصفه (Bestand) والعلم على ضبطه وتنظيمه. وبطبيعة الحال، فإنَّ معنى الضبط والتنظيم هنا - بالالتفات إلى الارتباط الجوهريِّ بين الـ (bestellen) والـ (stellen) - يدلُّ بدوره على نوع من الحمل والخوض أيضًا. من هنا يجب اعتبار الضبط والتنظيم نوعًا من الحمل والتعرُّض المقرون بالسيطرة والتصرُّف في الطبيعة لكلِّ نوع من الاستهلاك الذي يريده الإنسان. والمعنى الآخر لهذا النوع من التنظيم عبارة عن ترتيب الأشياء من طريق الحساب[3]. وبواسطة التنظيم والانضباط «يكون كلُّ شيء وفي جميع الأمكنة على أُهبة الاستعداد، كي ينطلق الطلب مباشرةً ومتى ما اقتضى الأمر»[4]. لذا، فإنَّ خصوصيَّة التنظيم في التكنولوجيا الحديثة تدلُّ على السيطرة على ما هو موجود من طريق الحساب، كي تتمَّ تلبية حاجات الإنسان الاستهلاكيَّة في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكان مباشرة. هذه السيطرة تقترن - كما سبق أنْ ذكرنا - بالتعرُّض والتصرُّف في الطبيعة؛ وهو التعرُّض الذي يُنظَر فيه إلى كلِّ شيء بوصفه شيئًا عديم الأهمّيَّة، ولا ينفع إلَّا بوصفه شيئًا يُلبّي الحاجة الاستهلاكيَّة للبشر فقط.

في ضوء ما تحدَّثنا عنه حتَّى الآن، يمكن لنا أنْ نستنتج ما يلي: إنَّ سؤال هايدغر حول التكنولوجيا ناظر إلى ماهيَّة التكنولوجيا الحديثة، وهو يرتبط برؤية خاصَّة إلى ما هو موجود، وهذه الرؤية لا تستوعب الأدوات والوسائل فحسب، بل وتشمل الدِّين والفنَّ وسائر المساحات المرتبطة بالحياة البشريَّة أيضًا. وسوف نُسمّي هذه النتيجة بالنقطة (أ)، كي نستفيد منه في ختام هذه المقالة.

ثانيًا: التكنولوجيا بوصفها وديعة تاريخيَّة أو قدَرًا

العنصر الأوَّل في ما يتعلَّق بطريقة تعاطي هايدغر مع التكنولوجيا - والذي تمَّت الإشارة إليه في هذه المقالة - هو ماهيَّة التكنولوجيا الحديثة أو الجشتال. أمَّا العنصر الثاني فهو فهم التكنولوجيا

---

[1]- جمادي، سياوش، زمينه وزمانه پديدارشناسی: جستاری در زندگی وانديشه های هوسرل وهايدگر (الأرضيَّة والجذور التاريخيَّة لعلم الظاهرات: بحث في مسار وأفكار هوسرل وهايدغر)، ص 692، نشر: ققنوس، طهران، 1389هـ ش. وانظر أيضًا:
Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 103.

[2]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 23. وانظر أيضًا:
Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 103.

[3]- See: Ibid, p. 80 - 82.

[4]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 18.

بوصفها وديعة تاريخيَّة أو قدرًا[1]. طبقًا للرؤية الفكريَّة لهايدغر، فإنَّ هذا النوع من التعاطي مع الطبيعة والرؤية الاستهلاكيَّة والفاقدة للمفهوم الإنسانيِّ تجاه الكائنات، ليست إبداعًا بشريًّا. هذه الرؤية ناشئة من طريقة ظهور الوجود (being) في عصر التكنولوجيا، حيث ينظر إلى الكائنات (beings)، ويعمل على تظهيرها بوصفها مصدرًا قابلاً للادِّخار وفاقدًا للمعنى ولا يحظى بالأهمّيَّة وقابلاً للحساب لاستهلاك الإنسان. فهو يقول: إنَّ الإنسان حيث يسوق التكنولوجيا إلى الأمام، فإنَّه يشارك في هذا الانضباط بوصفه نوعًا من الانكشاف. بيد أنَّ ذلك العدم المستتر الذي يزدهر هذا الانضباط في إطاره، لم يكن من صنع البشر أبدًا... وكلَّما عمد الأمر غير المستور إلى دعوة الإنسان إلى أنحاء الانكشاف الخاصِّ، يكون عدم استتاره قد حدث مسبقًا... وعليه، عندما يعمد الإنسان أثناء التحقيق والمشاهدة متابعة الطبيعة بوصفها مسرحًا لتصوُّراته، يكون قد دُعي مسبقًا إلى نحو من الانكشاف يدعوه إلى المعارضة، كي يواجه الطبيعة بوصفها موضوعًا للتحقيق، حتَّى إلى الحدِّ الذي ينمحي معه هذا الموضوع في فقدان موضوعيَّة المصدر الأزليّ. من هنا، فإنَّ التكنولوجيا الحديثة بوصفها انكشافاً يمنح الانضباط، ليست صناعة بشريَّة[2].

ينبغي القول أنَّ التعاطي التكنولوجيّ مع الأشياء والكائنات ليس أمرًا اعتباطيًّا يختاره الإنسان، بل يتمُّ وضع الإنسان - بالالتفات إلى طريقة تجلّي الوجود في عصر التكنولوجيا - في هذ النوع من المواجهة والتعاطي[3]. والنظرة التكنولوجيَّة إلى الأشياء ليست إبداعًا بشريًّا، وإنَّما هذه الرؤية هي حصيلة نمط من تبلور الوجود، حيث تظهر الكائنات إلى الإنسان، وأمَّا كيفيَّة اتِّضاح الوجود وإظهار ما هو موجود إليه، فهو ليس باختياره[4]. وبعبارة أُخرى: إنَّنا لا نمتلك السلطة والسيطرة على كيفيَّة ظهور وتبلور الكائنات[5]. فالعمل المستتر الذي يظهر فيه الأمر الواقع نفسه في كلِّ لحظة أو يعمل على سحبها وانحسارها لا يقع تحت اختيار الإنسان. ولمجرَّد اعتبار أنَّ الإنسان قد سبق له أنْ دُعي ليقوم بالمعارضة بدوره ليستفيد من طاقة الطبيعة، يمكن لمثل هذا الانكشاف المنضبط أنْ يتحقَّق[6].

---

[1]- destining.

[2]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 20 و21.

[3]- بيمل، فالتير، بررسي روشنگرانه انديشه هاى مارتين هايدگر (دراسة توضيحيَّة لأفكار مارتين هايدغر)، مصدر سابق، ص 199.

[4]- هايدغر، مارتين، نامه در باب انسان گرائى (رسالة في حقل النزعة الإنسانيَّة)، ص 294 و295، المنشور ضمن نصوص مختارة من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ترجمه إلى اللغة الفارسيَّة: عبد الكريم رشيديان وآخرون، نشر ني، طهران، 1388هـ ش؛ هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 20 و21. وانظر أيضًا:
Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 91.

[5]- O’Brien, Mahon (2004). ‘Commentary on Heidegger’s ‘The Question Concerning Technology’’, in Thinking Together, Proceedings of the IWM Junior Fellows’ Conference, Winter 2003, A. Cashin and J. Jirsa (ed.), Vienna: IWM Junior Visiting Fellows Conferences, Vol. 16. P. 22.

[6]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 19 و20.

في هذا الشأن، يُشير هايدغر إلى إحالة تاريخيَّة من ناحية الوجود، حيث ينكشف طريق إلى البشر. وقد أطلق على هذه الإحالة مصطلح القَدَر. ويقول: «إنَّ ماهيَّة مجموع التاريخ يتمُّ تعيينها من صلب هذا القدَر»[1]. وفي كلِّ أُفق تاريخي تتجلّى الكائنات للإنسان بنحو من الأنحاء في ضوء النسبة التي يقيمها مع الوجود، حيث تكون الغلبة للتفسير الخاصِّ عن الشيء الموجود. إنَّ الذي يُحال إليه الإنسان في ضوء نسبته إلى الوجود، هو ذلك النحو من الانكشاف الذي يشتمل على الفهم المسيطر والغالب عن الكائنات والموجودات في كلِّ مرحلة. لذا، فإنَّ هيمنة الجشتال يرتبط - مثل سائر أنحاء الانكشاف - بدائرة القدَر[2]. «إنَّ الجشتال هو إحالة القدَر، مثل جميع أنحاء الانكشاف. وإنَّ الإنتاج أو الفوسس بهذا المعنى يُعَدُّ نوعًا من القدَر»[3].

يذهب هايدغر إلى عدم اعتبار سلطة المنطق الرياضيّ - الذي هو مظهر التفكير التقنيِّ والآخذ بالتمدُّد والانتشار حاليًّا - على الفكر الفلسفيِّ وارتباطه بعلم الاجتماع وعلم النفس الحديث، من صنع الإنسان، أو لا يندرج تحت سيطرته[4]. وبطبيعة الحال، فإنَّ مسألة أنَّ التفكير التكنولوجيَّ عبارة عن إحالتنا التاريخيَّة، لا تعني أنَّ للإنسان دورًا في تبلور هذا التفكير. وبعبارة أُخرى: رغم أنَّ المُثُل الأفلاطونيَّة - على سبيل المثال - «لم تكن من صنع وصياغة أفلاطون»[5]، ورغم أنَّ تبلور الطبيعة - بوصفها أمرًا قابلاً للكبح والتدجين - خارجة من وجهة نظر بيكون عن حدود اختياره، إلاَّ أنَّ قابليّات واستعداد أفلاطون وبيكون في إبراز وتظهير ما أُعطي لهما غير قابل للإنكار.

مع ذلك كلِّه فإنَّ هايدغر كلَّما اقترب من نهاية عمره، كان يُقلِّل من دور الإنسان في تقديم طرح جديد. فهو في تفكيره الأخير يبتعد عن الوجود والزمان إلى حدود بعيدة. حيث يضمحلُّ مضمون التخطيط والحرّيَّة وخوض الكينونة[6] مع الإمكانات. يقول: إنَّ المخطَّط يُلقى، وبإلقائه يتمُّ إلقاء المخطَّط أيضًا. وليس الأمر كما لو كان المخطَّط شخصًا معيَّنًا أو يكون في موضع تاريخيٍّ محدَّد، بحيث يختار مخطَّطه كما يطلب شخص طعامه. إنَّه من خلال مخطَّطه أصبح قادرًا على الاختيار. وعلى هذا الأساس، فإنَّ الخطَّة والتخطيط تحت إرادة ومشيئة الوجود. وفي الحقيقة كلّما ابتعد هايدغر عن وجود الإنسان واقترب من الوجود المطلق، يحظى مضمون التاريخ عنده بأهمّيَّة أكبر،

---

[1]- المصدر السابق، ص 28.

[2]- المصدر السابق، ص 30.

[3]- المصدر السابق، ص 28.

[4]- Heidegger, Martin (1968). What Is Called Thinking, Fred D. Wieck and J. Glenn Grey (trans.), New York: Harper and Row. P. 21 - 22.

[5]- هايدغر، مارتين، پرسش از تکنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 19 و20.

[6]- الكينونة (dasein): كلمة ألمانيَّة تعني (يجري هناك) أو (الكينونة هناك)، وغالبًا ما تتمُّ ترجمة هذا المصطلح إلى الُلغة الإنكليزيَّة على أنَّه (وجود). المعرِّب.

ولكن الإنسان بطبيعة الحال لا يضمحلُّ بالمرَّة[1].

من جهته، أشار ريدلينغ - بالنظر إلى التحوُّل[2] الذي طرأ على تفكير هايدغر - إلى هذا الأمر، فرغم من أنَّ هايدغر السابق يتحدَّث كما لو كان التفكير الحاكم على العالم الحديث هو حصيلة توجُّهات الإنسان، إلَّا أنَّ هايدغر الَّلاحق لا يرى أنَّ هذا النوع من التفكير هو حصيلة القرارات الإنسانيَّة، بل يرتبط بالإحالة التاريخيَّة للوجود[3]. وفي الحقيقة أنَّ الَّلاحق يتحدَّث كما لو أنَّ الوجود ليس فوق الإنسان فحسب، بل ويمتلك إرادة ومشيئة وقدرة على اتِّخاذ القرار أيضًا[4].

باختصار، وطبقًا لتفكيره، لا يجب اعتبار التكنولوجيا الحديثة - بوصفها نحوًا من أنحاء الانكشاف - من صنع وصياغة الإنسان[5]. إنَّها ليست من معطيات المفكِّرين، ولا هي حصيلة إرادتهم ومطالبتهم البشريَّة، إنمَّا تضرب بجذورها في صلب الإحالة التاريخيَّة للوجود، ويضاف إلى ذلك أنَّ التغيير الإرادي لهذا التيّار والمسار التاريخيِّ لا يخضع لقدرة الإنسان[6]. ونطلق على هذه النتيجة مصطلح النقطة «ب».

ثالثًا: مخاطر التفكير التكنولوجيّ

يمكن شرح مخاطر التكنولوجيا الحديثة، من وجهة نظر هايدغر، من وجوه مختلفة. والمؤكَّد هو أنَّه يرى ما هو أخطر بكثير من التخريب الحاصل بفعل الأدوات والآلات التكنولوجيَّة[7].

نحن لا نشكُّ في أنَّ انفجار القنبلة الهيدروجينيَّة أهون بكثير من تداعيات الغزو التكنولوجيِّ على الحياة والطبيعة البشريَّة؛ فحتَّى لو لم تنفجر هذه القنبلة وتمَّ الحفاظ على حياة الإنسان على الكرة الأرضيَّة، فإنَّنا مع ذلك لن نكون بمنجى من التغيُّرات المثيرة للقلق والمخاوف التي سيشهدها العالم بفعل التكنولوجيا»[8].

هذا الكلام لا يعني - بطبيعة الحال - أنَّ هايدغر يُقلِّل من المشاكل المنبثقة عن التكنولوجيّات الخاصَّة، من قبيل: الإضرار بالبيئة. إنَّ مراده - كما أشار هو بنفسه - هو التقليل من هذه الأخطار في

[1]- جمادي، سياوش، زمينه وزمانه پديدارشناسی: جستاري در زندگي وانديشه های هوسرل وهايدگر (الأرضيَّة والجذور التاريخيَّة لعلم الظاهرات: بحث في مسار وأفكار هوسرل وهايدغر)، مصدر سابق، ص 530.

[2]- Turning/Kehre.

[3]- Ridling, Zaine (2001). The Lightness of Being: A Comprehensive Study of Heidegger's Thought, Access Foundation Kansas City, Missouri. P.198.

[4]- جمادي، سياوش، زمينه وزمانه پديدارشناسی: جستاری در زندگي وانديشه های هوسرل وهايدگر (الأرضيَّة والجذور التاريخيَّة لعلم الظاهرات: بحث في مسار وأفكار هوسرل وهايدغر)، مصدر سابق، ص 694.

[5]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 21.

[6]- هايدغر، مارتين، وارستگی: گفتاری در تفكر معنوی، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنوي)، مصدر سابق، ص 128.

[7]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژی، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 33.

[8]- هايدغر، مارتين، وارستگی: گفتاری در تفكر معنوی، (التحرر: مقالة في التفكير المعنوي)، مصدر سابق، ص 127.

مواجهة الدمار الحاصل من الخطر الذي يُهدِّد إنسانيَّة الإنسان. إنَّه يهدف إلى توجيه أنظار الناس إلى خطر أكبر، هو خطر التفكير التكنولوجيّ[1]. فما هو هذا الخطر؟

الخطر الأوَّل الذي يمكن الإشارة إليه هو خطر فقدان وضياع جميع المعاني والمفاهيم الذاتيَّة في عالم التكنولوجيا. فالكائنات في عالم التكنولوجيا تتحوَّل إلى مصدر استهلاكيٍّ عديم القيمة والأهمّيَّة. وواضع المعنى في مثل هذا العالم هو الإنسان فقط، والذي في نهاية المطاف يتحوَّل بنفسه إلى مصدر للاستغلال والاستثمار. في مثل هذا العالم لا يكون لأيِّ نبات أو حيوان أو أيِّ منظومة بيئيَّة أهمّيَّة ذاتيَّة من نفسها. فكلُّ ما هو موجود فاقد للمعنى، وليس سوى مصدر للاستغلال والاستفادة القصوى[2]. في هذا الإطار، نرى أنَّ هايدغر، من خلال إشارته إلى تحوُّل نهر الراين إلى مصدر للاستهلاك، واعتبار أهمّيَّته تكمن في مجرَّد تلبيته لحاجات الإنسان الاعتباطيَّة، عمد إلى التذكير بزوال نهريَّة النهر، واستقلاله في عالم التكنولوجيا، إذ يقول: لقد تمَّ وضع محطَّة للطاقة المائيَّة في مصبِّ نهر الراين، وفرض على الراين أنْ يُوفِّر ضغطًا مائيًّا، ليعمل بدوره على تحريك توربينات المحطَّة، وهذه الحركة تقوم بتحريك آلات تُؤدّي قوَّتها إلى إنتاج الكهرباء، ولتوزيع هذه الكهرباء يتمُّ تأسيس محطَّة مركزيَّة للطاقة ذات شبكات منظَّمة. وفي إطار هذه المسارات المترابطة فيما بينها ولغاية الاستفادة المنظَّمة من الطاقة الكهربائيَّة، يتجلّى نهر الراين مرَّة أُخرى بوصفه عنصرًا خاضعًا للسيطرة أيضًا. إنَّ طريقة حشر محطَّة الطاقة المائيَّة على نهر الراين، ليست من قبيل الجسر الخشبيِّ الذي كان يربط بين ضفَّتيْ النهر لمئات السنين. بل على العكس من ذلك تمامًا حيث يتمُّ دمج النهر بمحطَّة الطاقة من خلال إقامة سدٍّ يقف في طريقه. وعليه، فإنَّ ماهيَّة النهر من الآن فصاعداً تكتسب من ماهيَّة محطَّة الطاقة، فالنهر حاليًّا يضمن ضغط الماء. ولكي نُكوِّن ولو صورة مصغَّرة عن سلطة هذا الموجود المهول، يكفي أنْ نلتفت للحظة إلى التقابل بين العنوانين الآتيين: «الراين» بوصفه ماءً يصبُّ في محطّة الطاقة (كأثر فنّيّ)، و«الراين» بوصفه ما يتمُّ بيانه في الأثر الفنّيِّ لـ (هولدرلين) في مناجاة بهذا الاسم. قد يُجيب أحدكم: إلَّا أنَّ الراين يبقى بوصفه نهرًا في عين الطبيعة. ربَّما كان الأمر كذلك، ولكن كيف؟ على شكل مجرَّد شيء حاضر ومعدٍّ تعرضه صناعة السياحة على قوافل السائحين لا أكثر[3].

---

[1]- Dreyfus, Hubert (2002). 'Heidegger on Gaining a Free Relation to Technology' in Heidegger Reexamined Volume 3: Art, Poetry and Technology, Hubert Dreyfus (ed.), New York: Routledge. P. 165.

[2]- مك وورتر، ليدل، گناه تكنولوژى مديريت: دعوت هيدگر به تفكر (ذنب تكنولوجيا الإدارة: دعوة هايدغر إلى التفكير)، ص 171، مقال منشور في (فلسفه وبحران غرب)، أعدَّه وترجمه إلى اللُّغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش. وانظر أيضًا:

Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press. P. 19 - 22.

[3]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 17.

يروم هايدغر بيان حقيقة أنَّ النظرة التكنولوجيَّة تتسبَّب في تدمير جوانب الحياة في الطبيعة، حيث تقضي على مفهوميَّة الموجود، وتقلِّله إلى مستوى المصدر المستهلك الذي لا ينطوي على أهمّيَّة. وعلى هذا الأساس، لا تعود الأرض - في عالم التكنولوجيا - مأوىً وملاذًا للإنسان، بل منجم لا أهمّيَّة له سوى توفير الاحتياجات الّلامتناهية للإنسان. والأرض تتجلّى على شكل معدن للفحم الحجريِّ، وتعرُّض تربتها بوصفها ثروات معدنيَّة مستكشفة[1]. وقد حذَّر هايدغر - بالالتفات إلى هذه المتغيِّرات في عالم التكنولوجيا - من اضمحلال جذور الإنسانيَّة، قائلاً: إنَّ تعلُّق الإنسان بتراب مسقط رأسه، وتجذُّره في الأرض التي يعيش عليها، هو اليوم عرضة لخطر شامل! بل أكثر من ذلك، إذ إنَّ خطر فقدان الجذور لا يقتصر على حادثة أو أُسلوب غافل أو مبتذل لحياته، وإنَّما ينشأ ذلك من روح العصر الذي ولدنا فيه بأجمعنا... إنَّ ضياع الجذور الإنسانيَّة، هو ذات الشيء الذي عرَّض عصرنا للخطر[2].

يُضاف إلى ذلك أنَّ تقليل مستوى الطبيعة إلى مصدر مستهلَك، قابل للحساب والضبط والتقدير، يُقوّي هذا التصوُّر لدى الإنسان، وهو أنَّه لم يعد مجرَّد راعٍ في مزرعة الوجود، وإنَّما يرتقي إلى إقطاعيٍّ يسيطر على كلِّ شيء من طريق المحاسبة والتدوين. هذا الإنسان - من وجهة نظر هايدغر - قد ابتعد عن مكانته. وفوق ذلك كلِّه، أنَّ الإنسان الذي لا يُعَدُّ في الفكر التكنولوجيِّ سوى ناظم[3]، يصل إلى حافَّة الهاوية، بمعنى الحافَّة التي يتحوَّل فيها الإنسان نفسه وينخفض إلى مصدر لأقصى درجات الاستهلاك. وبذلك فإنَّ الإنسان يعمل في عالم التكنولوجيا على تحويل نفسه في نهاية المطاف إلى جزء من هذه الشبكة. في مثل هذا العالم، نجد أنَّ تحسين الذاكرة، ورفع سرعة العرض في بعض المسارات الذهنيَّة، من خلال تناول أدوية من قبيل الـ (آدرال)[4]، والـ (ريتالين)[5]، يُعرِّض قدرة الإنسان على التفكير للخطر. من خلال دراسة معطيات الهندسيَّة الجينيَّة، ربَّما أمكن مشاهدة تحوُّل الإنسان إلى مصدر لأقصى حدود الاستغلال بشكل أفضل. فهو في عالم التكنولوجيا بمنزلة الروبوت الذي ليس له من غاية سوى التوظيف الأفضل لطاقاته وقواه في إطار الاستفادة القصوى من سائر المصادر. وفي المدارس والجامعات لم يعد الطالب أو الجامعيُّ بوصفه إنسانًا مثقَّفًا ومفكِّرًا يتمتَّع بخصائص وقابليَّات فذَّة يجب التعرُّف عليه وتطويره، بل يجب تطوير وتحسين جميع الطلَّاب والجامعيِّين بوصفهم منافذ للنظام التعليم بحسب المعايير الكمّيَّة.

[1]- المصدر السابق، ص 16.

[2]- هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى، (التحرر: مقالة في التفكير المعنوي)، مصدر سابق، ص 124 و125.

[3]- Bestand.

[4]- adderall.

[5]- ritalin.

إنَّ عبارة «المصادر الإنسانيَّة»[1] الشائعة تشير بوضوح إلى تقليل الإنسان إلى مصدر للاستغلال في التفكير التكنولوجيّ. والحصول على نسبة إنتاجيَّة قصوى يُعَدُّ الهدف الوحيد لهذا النوع من التفكير[2].

وثمَّة خطر آخر أيضًا، هو زوال إمكانيَّة أيِّ نوع من أنواع الانكشاف الأُخرى. حيث يرى الإنسان كلَّ شيء - في التفكير التكنولوجيِّ - قابلاً للسيطرة ومستعدًّا للتوظيف: يبلغ به الغرور والتكبُّر إلى أنْ يجعل نفسه في مقام الإله في الأرض. وعلى هذه الشاكلة يترسَّخ هذا التوهُّم القائل بأنَّ كلَّ ما يصادفه الإنسان أمامه إنَّما هو موجود باعتبار أنَّه من صنعه. إنَّ هذا التوهُّم يُؤدّي بدوره إلى توسيع دائرة سراب لا نهاية لأمده، وكأنَّ الإنسان أبدًا لا يرى إلَّا نفسه... وفي الحقيقة أنَّه لم يعد يرى نفسه وماهيَّته في أيِّ مكان. لقد نذر نفسه بشكل قاطع في خدم منازلة الجشتال بحيث لم يعد يُدرك الجشتال بوصفه خطابًا، ولا يرى نفسه مخاطبًا بهذا الخطاب[3].

من هنا، فإنَّ الإنسان في عالم التكنولوجيا يرى نفسه من جهة متورِّطًا ضمن شبكة من العلاقات التقنيَّة، ولأسباب متعدِّدة من قبيل تناول الأدوية الخاصَّة لرفع مستوى إنتاجيَّته في العمل والدراسة في الفضاء التكنولوجيِّ - الذي تقدَّمت الإشارة إليه - يفقد القدرة على الانتقاد والتفكير بالواقع الذي وضع نفسه فيه، ولا يعود يُفكِّر بالخروج منه. ومن ناحية أُخرى حيث يرى كلَّ شيء من صنعه وخلق يده، يغفل عن كونه مخاطبًا، أو إمكان أنْ يُدعى من قِبَل الوجود بطريق آخر، ويفقد انفتاحه على نداء الوجود. هذا الإنسان لا يلتفت إلى حقيقة أنَّ التكنولوجيا الحديثة تُعَدُّ نمطًا من الانكشاف الذي جعله وضوح الوجود أمرًا ممكنًا. إذا كان كامل تاريخ الميتافيزيقا عبارة عن تاريخ الغفلة عن الوجود، فإنَّ هذه الغفلة في عصرنا قد بلغت ذروتها مقرونة بالغرور والتكبُّر الفجِّ من قِبَل الإنسان[4]. وعدم الالتفات إلى أنَّ الإنسان قد فقد شيئًا في عالم التكنولوجيا، يعني بعبارة أُخرى: تسمية الحطام

---

[1]- **Human resources**

[2]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 18 و31. وانظر أيضًا:
Pattison, George (2000). The Later Heidegger, New York: Routledge. P. 64; Dreyfus, Hubert (2002). 'Heidegger on Gaining a Free Relation to Technology' in Heidegger Reexamined Volume 3: Art, Poetry and Technology, Hubert Dreyfus (ed.), New York: Routledge. P. 166 - 167; Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press. P. 22; Thomson, Iain D. (2005). Heidegger on Ontotheology: Technology and the Politics of Education, Cambridge University Press. P. 150 - 158; Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. سP. 95.

[3]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 31.

[4]- وفي هذا الشأن من المهمِّ أيضًا أنْ نلتفت إلى أنَّه طبقًا لرؤية هايدغر، لا ينبغي ربط هذه الغفلة بعدم التفات الإنسان فقط، وذلك لأنَّ الوجود ذاته من خلال عدم الارتباط يفاقم بدوره من هذه الغفلة. من هنا، فإنَّ ابتعاد الوجود - كما يُنبِّه كيتيرينغ (**Emil Kettering**) - يرتبط من جهة بنفس الوجود، كما ينبثق من جهة أُخرى من النسيان الإنساني الذي يفاقم من ابتعاد الوجود.

والأطلال والأنقاض مدينة فاضلة، وتجاهل الخطر، يتَّسع بالتوازي مع اعتبار لا عقلانيَّة وعدم أهمّيَّة سائر طُرُق فهم ما هو موجود في عالم التكنولوجيا، ومن شأن ذلك أنْ يحول دون الخلاص والتحرُّر من الواقع الموجود[1]. وطبقًا لتفكير هايدغر في ما يتعلَّق بالانكشاف الحاكم على التكنولوجيا الحديثة، سوف نُسمّي الأمر الذي يشتمل على المخاطر المذكورة بالنقطة «ج».

المواجهة بين الفنِّ والتكنولوجيا

رغم أنَّ هايدغر قد أشار إلى المخاطر الكامنة في التكنولوجيا الحديثة، والتي تُهدِّد إنسانيَّة الإنسان، لكنَّه لا يدعو إلى عدم الاستفادة من الأدوات والوسائل التقنيَّة. وقد سبق له أنْ دعا إلى بعثنا وتحفيزنا للتفكير بالوضع الذي وقعنا فيه[2]. على كلِّ حال، فإنَّ التأمُّل حول هذه الحالة - كما يصفها في الحدِّ الأدنى - تُثبِت أنَّ التكنولوجيا الحديثة قد عرَّضت البشر لتهديد وخطرٍ جادٍّ. ومن الطبيعيِّ أنْ نتوقَّع منه أنْ يضع أمامنا طريقًا للخروج من هذا المأزق.

لقد تحدَّث هايدغر في نهاية كتابه (سؤال عن التكنولوجيا) عن المواجهة بين الفنِّ والتكنولوجيا. وأشار إلى مفردة «تخنة» الإغريقيَّة والتي تعني التقنيَّة. فهذه المفردة وإنْ كانت مشتركة في الأصل مع التكنولوجيا، يجب عدم اعتبارها بوصفها منظَّمة وضابطة ميكانيكيَّة. إنَّها تعني نوعًا من المعرفة الإنتاجيَّة. وهي فهم عن الموجود بمثابة ما لم يُنتج نفسه ويجب أنْ يُنتج. أي أنَّها ترتبط بالإنتاج والإيجاد، وهي أمر شاعريّ. بعبارة أُخرى: لا يوجد في التخنة إلجاء وفرض من قِبَل الإنسان. ويبدو أنَّ مراد هايدغر من الإشارة إلى الفنِّ في (السؤال عن التكنولوجيا)، يهدف إلى لفت الانتباه إلى أنَّ الفنَّ كان في يوم ما بمنزلة الفنِّ الشعريّ. وعندما يُخلي الفنُّ القديم مكانه للتكنولوجيا الميكانيكيَّة التي لا يعود يُفهم فيها الموجود بمثابة ما يتمُّ إنتاجه، بل بوصفه مصدرًا لا أهمّيَّة له ويخضع للضغوط الإنسانيَّة، يمكن للاهتمام بأن يكون الفنُّ حلاًّ[3].

---

[1]- كترينغ، إيميل، نيست انگارى در نگاه نيچه وهيدگر (النهليستيَّة في رؤية نيتشه وهايدغر)، ص 191 و192، المقال المنشور في مجلَّة (نيست انگارى اروپايى)، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد باقر هوشيار وأصغر تفنگسازي، نشر پرسش، طهران، 1382هـ ش؛ مك وورتر، ليدل، گناه تكنولوژى مديريت: دعوت هيدگر به تفكر (ذنب تكنولوجيا الإدارة: دعوة هايدغر إلىٰ التفكير)، مصدر سابق، ص 164؛ هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنوي)، مصدر سابق، ص 125؛ هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 31 - 33. وانظر أيضًا:
Ridling, Zaine (2001). The Lightness of Being: A Comprehensive Study of Heidegger's Thought, Access Foundation Kansas City, Missouri. P. 578; Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press. P. 150, 199 - 200; Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 10, 145 - 148.

[2]- هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، مصدر سابق، ص 127 و129.

[3]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 13 و14، و40 - 42. وانظر أيضًا:
Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 9.

من جهته، قال بيمل في هذا الشأن: في الحقيقة، إنَّ النقطة الأساسيَّة في الفنِّ ليست في تنظيم الموجودات من أجل تحويل الشيء إلى كائن أو ثروة، بل لا بدَّ من أنْ يتَّضح أنَّ ما هو موجود كان قد وُجِدَ[1].

يجهد الفنّان من خلال توظيف مقدرته لكي يُظهر ما أعطي له في عمله الفنّي. وهو يُدرك دوره بوصفه متلقّيًا ومنتجًا، هذا الدور الذي نسيه الإنسان في عصر التكنولوجيا. ومع ذلك، فإنَّ الفنَّ في عصر التكنولوجيا يتحوَّل إلى تابع للحضارة العالميَّة الخاضعة لسيطرة الجشتال، ويتحوَّل الفنّان بدوره إلى تابع لأهداف ومقاصد صناعة الفنِّ[2] أيضًا[3]. وذلك - من وجهة نظر هايدغر - لا يستلزم بالضرورة خروجًا من الفضاء التكنولوجيِّ السائد[4].

عمومًا، لقد أسدل هايدغر ستارًا من الغموض والإبهام على بحثه في حقل العلاقة بين الفنِّ والخلاص في الفضاء التكنولوجيِّ السائد. ربَّما أمكن القول: إنَّ جلَّ اهتمامه في هذا الشأن يصبُّ في توجيه أنظار المخاطبين إلى وجود نمط آخر من الحياة، وبعبارة أُخرى: إنَّ الحياة الشاعريَّة ممكنة أيضًا، بمعنى أنْ لا يعتبر الإنسان نفسه كلَّ شيء[5]، وبذلك يحافظ على انفتاحه على تقبُّل نمط آخر من الانكشاف. ومن هنا يقول في (رسالة في حقل النزعة الإنسانيَّة)[6]: يجب علينا أنْ نسمح بأنْ تتمَّ دعوتنا من قِبَل الوجود من جديد[7].

وفي كلمته التي ألقاها بمناسبة مرور 175 سنة على ولادة الموسيقار الألماني الشهير (كونرادين كرويتز)[8]، بتاريخ الثلاثين من تشرين الأوَّل سنة 1955 للميلاد، تحدَّث هايدغر عن «الخلاص من

[1]- بيمل، فالتير، بررسي روشنگرانه انديشه هاى مارتين هايدگر (دراسة توضيحيَّة لأفكار مارتين هايدغر)، مصدر سابق، ص 208.

[2]- Art industry

[3]- كوكلمانس، جوزيف. ي هيدگر وهنر (هايدغر والفنّ)، ص 359 و361، ترجمه إلى اللغة الفارسيَّة: محمّد جواد صافيان، نشر: پرسش، عبّادان، 1388هـ ش. وانظر أيضاً:

Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press. P. 60.

[4]- كوكلمانس، جوزيف. ي هيدگر وهنر (هايدغر والفنّ)، مصدر سابق، ص 359؛ هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 41 و42. وانظر أيضًا:

Wrathall, Mark (2002). 'Volume Introduction', in Heidegger Reexamined Volume 3: Art, Poetry, and Technology, Hubert Dreyfus and Mark Wrathall (ed.). New York: Routledge.

[5]- كما أنَّ الشعراء والفنّانين الحقيقيِّين لا يعتبرون أنفسهم كلَّ شيء. وإنَّ تصريحات مايكل آنش بشأن دوره في إبداع الأثر الفنّي خير شاهد على هذه المسألة. انظر المصدرين أدناه:

Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 26; Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press. P.21.

[6]- Letter on Humanism.

[7]- هايدغر، مارتين، نامه در باب انسان گرايى (رسالة في حقل النزعة الإنسانيَّة)، ص 286، المنشور ضمن نصوص مختارة من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ترجمه إلى اللُّغة الفارسيَّة: عبد الكريم رشيديان وآخرون، نشر ني، طهران، 1388هـ ش.

[8]- Conradin Kreutzer.

الأشياء»[1]، كمقدّمة لتوفير إمكانيَّة الخروج من عصر التكنولوجيا[2]. وقال في ذلك:

ولكن لا يزال أمامنا متَّسع للعمل على نحو آخر. يمكن أنْ نستخدم الوسائل الفنّيَّة، وفي الوقت نفسه نتخلَّص من قيودها من خلال التوظيف الصحيح، بمعنى أنْ نتخلَّص من أغلالها متى أردنا ذلك... وسوف نسمح للتكنولوجيا بأنْ تقتحم حياتنا اليوميَّة، على أنْ نتمكَّن في الوقت نفسه من إخراجها وطردها، تمامًا كما هو الحال بالنسبة إلى الأشياء غير المطلقة والتابعة لأُمور أسمى منها. وأنا أُعبرِّ عن هذا التعاطي الحياديِّ مع التكنولوجيا المستلزم لقول «أجل» و«كلاَّ» في الوقت نفسه، باستخدام عبارة قديمة، وهي: الخلاص من الأشياء[3] [4].

يجدر القول هنا أنَّ التحرُّر من الأشياء يعني في الحقيقة أن نستخدم الوسائل والأدوات التكنولوجيَّة، وفي الوقت نفسه لا نعتبر هذا النمط من الحياة أمرًا مطلقًا[5]. وإذا أردنا بيان مراد هايدغر في هذا الشأن بلغة مبسَّطة، ربمَّا أمكن القول: أنَّ التحرُّر من الأشياء يعني الاستفادة من الوسائل التكنولوجيَّة وعدم الغرق في مستنقعها. ويتَّضح هذا الأمر من خلال ملاحظة حياته بشكل أوضح. فهو لم يمتلك جهاز تلفزيون أبدًا، وكان في الوقت نفسه يستمتع بمشاهدة المسابقات الرياضيَّة عبر تلفزيونات الآخرين. كما كان يكره الطباعة على الآلة الكاتبة، ويكتب نصوصه على الورق، ويدفع ما كتبه بخطٍّ يده إلى أخيه كي يطبعه له[6]. في الحقيقة، كان هايدغر يطالب بالخلاص من مخالب التكنولوجيا، رغم إدراكه حاجة الاستفادة من الوسائل الميكانيكيَّة في عصرها. فهو يرى أنَّ التخلُّص من الأشياء من أجل التحرُّر من الفضاء التكنولوجيِّ الجاثم على صدورنا أمرٌ ضروريٌّ، وإنْ كان هذا مجرَّد مقدِّمة لظهور عصر جديد، وتوفير الأرضيَّة لإمكان الإقامة والسكن في الأرض بطريقة مختلفة. لقد كان مدرِكًا أنَّ مجرَّد التخلُّص من الأشياء، لا يُكوِّن فهمًا جديدًا عن الموجودات والدخول إلى عصر ما بعد التكنولوجيا[7]. ومن ناحية أُخرى، يحتاج الخلاص من الأشياء بدوره إلى مقدّمات؛ إذ من الواضح أنَّ مجرَّد إرادة الخلاص لا يُحقِّق الخلاص. والتفكير

[1]- Releasement toward things.

[2]- هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، مصدر سابق، ص 119 و129 - 131.

[3]- Glassenheit

[4]- المصدر السابق، ص 129.

[5]- المصدر السابق، ص 128 و129.

[6]- Ridling, Zaine (2001). The Lightness of Being: A Comprehensive Study of Heidegger's Thought, Access Foundation Kansas City, Missouri. P. 580.

[7]- Dreyfus, Hubert (2002). 'Heidegger on Gaining a Free Relation to Technology' in Heidegger Reexamined Volume 3: Art, Poetry and Technology, Hubert Dreyfus (ed.), New York: Routledge. P. 170; Ridling, Zaine (2001). The Lightness of Being: A Comprehensive Study of Heidegger's Thought, Access Foundation Kansas City, Missouri. P. 580.

المعنويُّ[1] يُمثِّل مقدّمة له. كما أنَّ التفكير المعنويَّ التذكيريَّ - خلافًا للتفكير الحسابيِّ[2] الذي يسعى للهيمنة على الأوضاع بالطُّرُق الحسابيَّة - يتأمَّل في معنى ما سيجري علينا[3]. إذ يقول في ذلك: إنَّ التفكير المعنويَّ يقتضي منّا أنْ لا نتشبَّث بمفهوم واحد بالمطلق وبشكلٍ تامٍّ، وأنْ لا نسير وراء المفاهيم من جانب واحد وإلى آخر الخطِّ. التفكير المعنويُّ يريد منّا أنْ نتكفَّل وننهمك بالعمل على ذلك الشيء الذي يبدو مستحيلاً وغير قابل للإنجاز في الوهلة الأُولى[4].

في الحقيقة، عندما يتحدَّث هايدغر عن غياب التفكير إنَّما يريد بذلك هذا النوع من التفكير. وهو يُشير إلى أنَّه رغم عدم القيام بهذا الكمِّ الهائل من التحقيقات الكثيرة في الحقول التخصُّصيَّة في أيِّ فترة زمنيَّة، نشهد اليوم مثل هذه التحقيقات المقترنة بمعطيات مهمَّة، بيد أنَّ التفكير الهادي إلى مثل هذه المعطيات يُمثِّل نمطًا وسنخًا خاصًّا من التفكير، هو التفكير الحسابيُّ الذي استحوذ على الإنسان المعاصر، وجعله يسعى للسيطرة على كلِّ شيء، وينسى أنْ يُفكِّر بما عليه واقعه في العالم المعاصر وطُرُق الحياة الأُخرى. ويذهب هايدغر إلى الاعتقاد بأنَّ الإنسان لا يريد حتَّى أنْ ينظر أو يتقبَّل غيابه الفكريّ. وتكمن مخاوفه في أنْ يرزح البشر المعاصر تحت تأثير سكرة معطيات هذا التفكير، بحيث يعتبر التفكير الحسابيُّ هو الطريقة الوحيدة[5].

يريد منّا هايدغر أنْ نفتح آذاننا وعيوننا لكي نُدرك ما يُقدِّمه لنا اتِّضاح الكائنات. وإدراك هذا الأمر يُؤدّي إلى فهم التكنولوجيا الحديثة في ما يتعلَّق بالأمر الأكثر تعاليًا. وفي هذه الحالة لن يتمَّ اعتبار نمط الحياة الراهن أمرًا مطلقًا، ولن يعود الإنسان يعتبر نفسه قادرًا على كلِّ شيء، وأنَّه السيِّد المطلق الحاكم على الوجود. وفي هذا الإطار، يتعينَّ عليه في الخطوة الأُولى إدراك أنَّه قد افتقد شيئًا وأنَّ هناك خطرًا يُهدِّده. هذا في حين أنَّ الإنسان المعاصر يُقيِّم تقدُّمه وتطوُّره من خلال مجرَّد معيار القدرة المتزايدة في السيطرة على الطبيعة، ولا يشعر بأيِّ حاجة إلى معرفة شيء حول واقعه المأساويّ، وما إذا كانت تلك الناحية من الطبيعة التي أصبحت ملموسة في الاتِّجاه التكنولوجيِّ تصلح حقًّا لجعل الطبيعة بمنزلة المأوى والملاذ للإنسان؟

يرى هايدغر أنَّ العبور من هذه الحالة لن يكون ممكنًا إلاَّ إذا تمَّ إدراك الخطر بوصفه خطرًا. ومع ذلك يُصرح بأنَّه لا أحد يعلم بزمان أو كيفيَّة هذا التحوُّل من نسيان الوجود إلى إحياء المكانة

---

[1]- **meditative thinking.**

[2]- **calculative thinking.**

[3]- هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى. (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، مصدر سابق، ص 121 - 123، وص 127 - 129 و131. وانظر أيضًا:

Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 226.

[4]- هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، مصدر سابق، ص 128.

[5]- المصدر السابق، ص 121 و122، وص 127 و128، وص 130.

الحقيقيَّة للإنسان. ولا يرى عدم ضرورة معرفة هذا الزمان فحسب، بل يراه مضرًّا أيضًا؛ وذلك لأنَّ منزلة الإنسان ومكانته - من وجهة نظره - تكمن في ترقُّبه وتوقُّعه على قارعة الوجود، وليس العلم بهذه الموارد[1].

لقد صرَّح هايدغر في آخر حوار له[2] سنة 1966م قائلاً: إنَّ الله وحده هو القادر على إنقاذنا. وعليه، فإنَّ ما تمَّت الإشارة إليه في هذا القسم هو مجرَّد استعداد الإنسان لظهور هذا الإله. فمن وجهة نظره، يمكنه أنْ يُعَدَّ نفسه لظهور هذا الإله الذي لا يُقدِّم تفسيراً له، وهذا الأمر هو الذي أدّى إلى ظهور تفسيرات مختلفة في هذا الشأن[3]. لذا، سوف نُطلِق على ما يدَّعيه في تقابل مع الحلول الإداريَّة والمتمحورة حول السيطرة، والتفكير المعنوي، والخلاص، وتوقُّع إله منقذ، عنوان النقطة «د».

نقد طريقة تعاطي هايدغر مع التكنولوجيا الحديثة

في ضوء ما تقدَّم، وبعد ملاحظة النقاط (أ) و(ب) و(ج) و(د)، يمكن لنا بيان العناصر الرئيسة لطريقة تعاطي هايدغر مع التكنولوجيا على النحو الآتي:

- إنَّ ما يسعى له من خلال السؤال عن ماهيَّة التكنولوجيا، عبارة عن نوع من الانكشاف الذي يحكم في عصر التكنولوجيا على جميع أبعاد الحياة البشريَّة، بما في ذلك الفنّ أيضًا.

- إنَّ الانكشاف الحاكم على التكنولوجيا لم يكن من إبداع الإنسان، ورغم أنَّ طريقة تعاطي الإنسان، وإنْ كان لها تأثير في تغييرها، ولكن لا ينبغي اعتبارها أمرًا أراديًّا وخاضعًا لسيطرته.

---

[1]- بيمل، فالتير، بررسى روشنگرانه انديشه هاى مارتين هايدگر (دراسة توضيحيَّة لأفكار مارتين هايدغر)، مصدر سابق، ص 208 و281، وص 184، وص 206 - 209، وص 224 و225؛ مك وورتر، ليدل، گناه تكنولوژى مديريت: دعوت هيدگر به تفكر (ذنب تكنولوجيا الإدارة: دعوة هايدغر إلى التفكير)، مصدر سابق، ص 171؛ مولر، ماكس، ما بعد الطبيعة وتاريخ تفكر مارتين هيدگر (ما بعد الطبيعة وتاريخ تفكير مارتين هايدغر)، ص 204 و210، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، ص 126، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش؛ هايدغر، مارتين، نامه در باب انسان گرايى (رسالة في حقل النزعة الإنسانيَّة)، مصدر سابق، ص 294 و295، وص 299، وص 301 - 303؛ هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 21، وص 38، وص 40؛ هايدغر، مارتين، راه بازگشت به درون سرزمين ما بعد الطبيعة (طريق العودة إلى واحة ما بعد الطبيعة)، ص 106، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، ص 126، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378 هـ ش؛ هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، مصدر سابق، ص 130. وانظر أيضاً:
Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press. P. 216 – 226; Heidegger, Martin (1977). 'The Turning', in The Question Concerning Technology and Other Essays (in English), William Lovitt (trans.), New York: Garland Publishing. P. 41 - 42.

[2]- وحيث كان هايدغر قد اشترط عدم نشر هذا الحوار إلَّا بعد وفاته، ربمَّا أمكن القول: إنَّ هذه الكلمة كان هي الكلمة الأخيرة الموجِّهة إلى قُرّاء كُتُبه وأعماله.

[3]- مك كواري، جان، فقط خدا متواند ما را نجات دهد (الله وحده هو القادر علىٰ إنقاذنا)، ص 136، وص 148 و149، أعدَّه وترجمه إلىٰ اللغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.

- إنَّ هذا الانكشاف يعرض طريقة حياة الإنسان للمخاطر.

- إنَّ الخلاص من المخاطر المذكورة عند وقوعها لا يأتي عبر الطُّرُق الإداريَّة، بل بواساطة التفكير المعنويِّ والخلاص.

انطلاقًا من الموارد أعلاه، يمكن توجيه بعض الانتقادات إلى طريقة تعاطي هايدغر مع التكنولوجيا الحديثة. ومن بين هذه الانتقادات النقد المرتبط بغموض رؤيته تجاه الوسائل التكنولوجيَّة. هو لم يُبيِّن موقفه من هذه الوسائل بوضوح، فمن جهة يجري مقارنة بين تكنولوجيَّات من قبيل ما نشاهده اليوم في محطَّات الطاقة المائيَّة والزراعة الميكانيكيَّة، وبين التكنولوجيّات القديمة، ويتحدَّث وكأنَّه مرعوب من الوسائل التكنولوجيَّة الحديثة. من ذلك يضع طاحونة الهواء القديمة في قبال التعرُّض الناتج منها[1]، ويتحدَّث عن تعرُّض الزراعة الميكانيكيَّة، ويذكر في المقابل الرعاية والاهتمام بالأرض الزراعيَّة في الفلاحة التقليديَّة[2]، كما يضع محطَّة الطاقة المائيَّة المقامة على نهر الراين بوصفها ظاهرة مرعبة في قبال قنطرة خشبيَّة قديمة على النهر من دون أنْ تُعرِّض استقلال النهر للخطر[3]. وقد تحدَّث في خطاب «الذكرى» عن المذياع والتلفزيون والمجلَّات المصوَّرة والفنون الجديدة لوسائل التواصل الاجتماعيِّ بنبرة محبطة[4]، بحيث قد يذهب المخاطب معها إلى تصوُّر أنَّه مُعرِض عن التكنولوجيا بشدَّة. ولكنَّه من جهة أُخرى - كما أشرنا سابقًا - يرى بالالتفات إلى المورد (أ) أنَّ هاجسه ينشأ من التفكير التكنولوجيِّ لا من الوسائل التكنولوجيَّة الحديثة، وهو التفكير الذي يُؤثِّر في كلِّ شؤون الحياة البشريَّة وليس هذه الوسائل فقط. وعليه، يمكن لنا الآن أنْ نطرح هذا السؤال: ما هي نسبة التعرُّض الذي ذكره هايدغر - من خلال الإشارة إلى بعض الأمثلة والنماذج عن التكنولوجيا الحديثة - إلى الوسائل والأدوات التكنولوجيَّة؟ لو كان هذا التعرُّض رهنًا بالفهم الذي يحمله الإنسان في مثل هذا العالم عمَّا هو كائن، وإذا كان هذا الفهم - بالالتفات إلى المورد (ب) - لا يتغيَّر بوساطة الجهود البشريَّة، فإنَّ التغيير في طرح مثل هذه الوسائل يجب بدوره أنْ لا يُجري تحسينًا على الوضع القائم.

النقطة الكامنة هنا في الحقيقة هي أنَّ هايدغر لم يُركِّز بشكل واضح على النسبة بين التفكير التكنولوجيِّ وطرح الأدوات والوسائل التقنيَّة. فبغضِّ النظر عن التغيير في فهم التكنولوجيا السائدة في الوضع الموجود، فإنَّ أيَّ تغيير سوف يترتَّب على تصميم الوسائل والأدوات بغية إنتاج التكنولوجيَّات المتناغمة مع البيئة على سبيل المثال. إلَّا أنَّ التعرُّض المشابه لما يذكره هايدغر

[1]- هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، مصدر سابق، ص 15.

[2]- المصدر السابق، ص 16.

[3]- المصدر السابق، ص 17.

[4]- هايدغر، مارتين، وارستگي: گفتاري در تفكر معنوى، (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنوي)، مصدر سابق، ص 124.

العدد الرابع عشر - 1447هـ - صيف 2025م

بشأن محطَّة الطاقة المائيَّة والزراعة الميكانيكيَّة، أم لا، قد تُرِكَ في منظومته الفكريَّة من دون جواب. ولا شكَّ في طبيعة الحال بصحَّة هذا الموضوع القائل بأنَّ التغيير في تصميم الوسائل والأدوات، لن يحدث تغييراً في الرؤية التكنولوجيَّة، إذ إنَّ هذه الآليَّة نفسها بدورها منبثقة عن التفكير التقنيِّ أيضًا. كما أنَّ موضوع النقد المذكور هنا لا يرتبط بالخلاص من الرؤية التكنولوجيَّة أيضًا، بل هي مسألة الوسائل التكنولوجيَّة الحديثة، حيث نجد موقف هايدغر منها مقرونًا بنوع من الغموض والإبهام. وهو لم يُشِر أيضًا إلى موقع الوسائل والأدوات التكنولوجيَّة الحديثة في حالة ظهور مرحلة ما بعد التكنولوجيا. وبعبارة أُخرى: إنَّ واقع التكنولوجيا في حالة سيادة نموذج حديث يغلب فيه فهم جديد لما هو كائن، يبقى مبهمًا في منظومته الفكريَّة. فهل يمكن اعتبار التكنولوجيّات التي هي بحجم التكنولوجيّات المعاصرة، والتي هي من ناحية أُخرى متناسبة مع البيئة، تكنولوجيَّات مناسبة لمثل هذا العصر؟ في هذه الحالة، ألَا يمكن للتغيير في تصميم الوسائل التكنولوجيَّة أنْ يُؤدّي إلى إنتاج مثل هذه التكنولوجيّات؟ واليوم نشاهد أنَّ الباحثين في حقل التكنولوجيّات يهتمُّون بنماذج كثيرة عن هذه التكنولوجيّات البديلة.

من ناحية أُخرى، فإنَّ الاختلاف الرئيس الذي يُميِّز هايدغر من هؤلاء الباحثين يكمن - بالالتفات إلى المورد «ب» - في اهتمامه بماهيَّة التكنولوجيّات الحديثة، وأساسًا بالالتفات إلى هذا الموضوع يمكن نقد رؤية هؤلاء الباحثين من زاويته الفكريَّة. وأمَّا إذا كانت المسألة هي مسألة ماهيَّة التكنولوجيًّا الحديثة وليست الوسائل والأدوات التكنولوجيَّة، فيجب إيضاح النسبة بين هذين الأمرين وتأثير كلٍّ واحد منهما على الآخر، في حين أنَّ هذا الموضوع - كما سبق أنْ ذكرنا - لم يتمّ التطرُّق له في المنظومة الفكريَّة لهايدغر. بعبارة أُخرى: إذا كانت وسائل التكنولوجيا الحديثة منبثقة من فهم التكنولوجيا السائدة، وأنَّ التغيير في الرؤية التكنولوجيَّة لا يتحقَّق بإرادة بشريَّة، عندها يمكن طرح السؤال القائل: ما هي نسبة التكنولوجيّات المتناغمة مع البيئة البشريَّة التي تحظى اليوم بالاهتمام الشديد إلى مثل هذا الفهم؟ لا يمكن العثور ضمن أفكار هايدغر على إجابة محدَّدة عن هذا السؤال.

الأمر الآخر أنَّه بالالتفات إلى الموردين «أ» و«ج»، لا يمكن حصر التفكير التكنولوجيِّ وأخطاره بدائرة الوسائل والأدوات التكنولوجيَّة فقط، فبالاستناد إلى هذا الموضوع يمكن لنا أنْ نطرح السؤال الآتي: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا بالغ هايدغر في ذكر الأمثلة عن الأدوات والوسائل التكنولوجيَّة الحديثة؟ أفليس الخطر يكمن في التفكير التكنولوجيِّ الذي أحاط اليوم بجميع شؤون الحياة؟ إذن، لماذا يتمُّ التركيز إلى هذا الحدِّ على نماذج مختارة من الأدوات والوسائل التكنولوجيَّة؟ هذه الأمثلة هي التي أدَّت طبقًا لبعض التفاسير إلى اتِّهامه بالخوف من التكنولوجيا في معناها المتعارف، في حين أنَّ الكثير من المفسِّرين له قد رفضوا هذا التفسير. وهذه الثنائيَّة في التفاسير

ترتبط بدورها بذلك الغموض الموجود في فكره بشأن النسبة بين الماهيَّة التكنولوجيَّة الحديثة والأدوات والوسائل التكنولوجيَّة.

أمَّا الأمر الآخر الذي، وإنْ أمكن عدم اعتباره نقدًا جادًّا على رؤية هايدغر في ما يتعلَّق بالتكنولوجيا الحديثة، بيد أنَّه يستحقُّ التأمُّل، وهو أنَّ المفاهيم المستعملة في المنظومة الفكريَّة لهايدغر، من قبيل: الوجود، والانكشاف، والإحالة التاريخيَّة، والجشتال، تعمل بشكل وآخر على استحالة قيام الارتباط بين المجتمع الفلسفيِّ والمهندسين. ورغم إمكان القول بأنَّ الفلاسفة في الكثير من الموارد لا يراعون في طرح أفكارهم وتأمُّلاتهم فهم الآخرين لها كثيراً، وهذا الأمر يرتبط إلى حدٍّ ما بماهيَّة التفكير الفلسفيِّ، ولكن في ما يتعلَّق بمسائل من قبيل التكنولوجيا التي يخوض فيها المهندسون وسائر الباحثين في هذا الحقل، يبدو أنَّ بالإمكان اعتبار إمكانيَّة الارتباط بين أفكار الفلاسفة وغير الفلاسفة من الناشطين في هذا الحقل نقطة قوَّة. وفي غير هذه الحالة سيحدث شرخ عميق بين التأمُّلات الفلسفيَّة في حقل التكنولوجيا والمسائل الملموسة والملحَّة في هذا الحقل، الأمر الذي يُؤدّي بدوره إلى عزل أفكار الفيلسوف وحشرها في زاوية الأبحاث التي تقتصر على عدد محدود من الأشخاص. ويبدو أنَّ هذا النقص يصدق في مورد رؤية هايدغر تجاه التكنولوجيا بشكل كامل.

وفي الموارد التي يسعى فيها المفسِّر والشارح لبيان رؤية هايدغر في ما يتعلَّق بإقامة الارتباط بين حقلين بلغة أُخرى، قد يشطُّ بعيدًا عن المعنى الذي يرومه الفيلسوف. وعلى هذا الأساس عندما يتحدَّث مفكِّر عن التكنولوجيا، لا يبدو توقُّع أنْ يحمل هاجس الارتباط مع الباحثين في حقل التكنولوجيا، أمرًا اعتباطيًّا.

في الختام، لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّه رغم أنَّ مسألة هايدغر تكمن في النظرة التقنيَّة بشكلٍ عامٍّ، وليس في مسائل فلسفة التكنولوجيا المتعارفة، إلَّا أنَّ الإنسان يحتاج في حياته في عالم التكنولوجيا المعاصرة إلى اتِّخاذ القرار المناسب للعمل. وفي هذا الشأن سيواجه المفكِّر التابع له بعض المشاكل، ومن ذلك على سبيل المثال: هل يجب التخطيط للسيطرة على الأزمات البيئيَّة، أم أنَّ هذه الرؤية بنفسها انعكاس عن التفكير التقنيِّ المتمحور حول السيطرة والنزعة الإنسانيَّة؟ من هنا، وبالالتفات إلى المورد «د»، لن تستتبع الخلاص من النموذج التكنولوجيِّ السائد، سؤال جادٌّ يضع هذا المفكِّر أمام تحدِّيات عديدة.

بطبيعة الحال، يمكن لهايدغر أنْ يُصرِّح بأنَّ رسالته تتجاوز الخوض في مثل هذه المسائل؛ لأنَّه ينظر إلى أُفق أوسع. وأمَّا الباحثون في الحقل التكنولوجيِّ من الذين يسعون لتحسين حياة الإنسان في عالم التكنولوجيا الراهنة، فلا يمكنهم أنْ يكونوا حياديِّين ولا أُباليِّين بشأن هذه المسائل. يبدو أنَّ

تفكير هايدغر يجعلنا في بعض الموارد نواجه نوعًا من اللّاعمليَّة، التي ربمَّا اعتبرها المفكِّر التابع له فكرًا مقدَّمًا على النظر والعمل، في حين أنَّنا في قبال بعض الموارد من قبيل الأزمات البيئيَّة، بحاجة إلى قرار للعمل. والحال أنَّنا لا نستطيع أنْ نستخرج مثل هذه الوصفات من منظومته الفكريَّة.

هذا الموضوع يُمثِّل نقدًا لتفكير هايدغر، بحيث لا يمكن تجاوزه ببساطة من طريق حتَّى اللجوء إلى إشارات من قبيل تقدُّم هذا التفكير على النظر والعمل. ومن هنا، فإنَّ بعض فلاسفة حقل التكنولوجيا قد استفادوا من الأفكار العميقة لهايدغر في ما يتعلَّق بالرؤية التقنيَّة، وعمدوا في الوقت نفسه من خلال عزل بعض العناصر الغامضة والملغزة في تفكيره، وإيضاح المسائل الملحقة بالتكنولوجيا إلى فتح مسار جديد في فلسفة التكنولوجيا، وهو المسار الذي لم يكن من الممكن أنْ يتبلور لولا الاعتماد على منظومته الفكريَّة.

استنتاج إجماليّ

نستنتج ممَّا سبق أنَّ التكنولوجيا الحديثة - طبقًا لرؤية هايدغر - هي باختصار شيء يفوق الماكنات والآلات الصناعيَّة. إنَّها في الحقيقة عبارة عن رؤية يكون كلُّ شيء موظَّفًا على أساسها لخدمة الإنسان لا غير، وهي الرؤية التي سيغدو فيها الإنسان بنفسه أسيرًا وسط شبكة من العلاقات التقنيَّة.

يعتبر هايدغر هذه الرؤية إحالة تاريخيَّة للوجود من جهة، ولا يعتبر الوضع القائم مصيرًا حتميًّا من جهة ثانية. وعلى كلِّ حال، الذي يُفهَم من فحوى كلامه لا يُمثِّل خروجًا من الفضاء التكنولوجيِّ الحاكم عن طريق الإرادة الإنسانيَّة أبدًا. والخلاص والتحرُّر من هذا الفضاء إنَّما يتمُّ عبر التحوُّل الذي يعدُّ الإنسان نفسه له. من هنا، فإنَّ الخلاص من الأشياء والتفكير المعنويِّ يُشكِّلان مقدِّمة لظهور عصر آخر. وقد صرَّح هايدغر في آخر حوار له مع مجلَّة (در شبيغل) بأنَّ التفكير يمكنه التمهيد لظهور هذا الإله فقط، ولا يمكنه حتَّى تقريب ظهور هذا الإله[1].

وبالالتفات إلى المسائل المتقدِّمة، تمَّ توجيه بعض الانتقادات إلى طريقة تعاطي هايدغر مع التكنولوجيا الحديثة، وهي انتقادات تدور حول الغموض في بيان النسبة بين الانكشاف الحاكم على الوسائل التكنولوجيَّة، وعدم العملانيَّة، وفقدان الارتباط مع الباحثين، وفي الختام تُساق الأمثلة المنتقاة من قِبَله في مورد الأدوات والوسائل التكنولوجيَّة الحديثة. ورغم ذلك، فإنَّ الموارد المذكورة لا تُقلِّل من تأثير المعلومات الموجودة في منظومته الفكريَّة في حقل التكنولوجيا الحديثة، بل يمكن لهذه المعلومات أنْ تُشكِّل أرضيَّة لنوع من إعادة التفكير في هذا النمط في إطار تبلور وبسط الاتِّجاهات الهايدغريَّة الجديدة في هذا الحقل.

[1]- مك كواري، جان، فقط خدا متواند ما را نجات دهد (الله وحده هو القادر علىٰ إنقاذنا)، مصدر سابق، ص 149.

قائمة المصادر والمراجع

بالفارسيَّة:

1. آيدي، دن، هنر وتكنولوژی: فلسفه پديدارشناختى هايدگر در باب تکنولوژی (الفنُّ والتكنولوجيا: الفلسفة الظاهراتيَّة لهايدغر في حقل التكنولوجيا)، منشور في فلسفة التكنولوجيا، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: شاپور اعتماد، ص 50، نشر: مركز، طهران، 1389هـ ش.
2. **بيمل، فالتير، بررسى روشنگرانه انديشه هاى مارتين هايدگر (دراسة توضيحيَّة لأفكار مارتين هايدغر)، ترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: بيژن عبد الكريمي، ص 196، انتشارات: صدا وسيماى جمهورى اسلامى ايران، نشر: سروش، طهران، 1387هـ ش.**
3. **جمادى، سياوش، زمينه وزمانه پديدارشناسى: جستارى در زندگى وانديشه هاى هوسرل وهايدگر (الأرضيَّة والجذور التاريخيَّة لعلم الظاهرات: بحث في مسار وأفكار هوسرل وهايدغر)، ص 692، نشر: ققنوس، طهران، 1389هـ ش.**
4. **كترينغ، إيميل، نيست انگارى در نگاه نيچه وهيدگر (النهليستيَّة في رؤية نيتشه وهايدغر) وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد باقر هوشيار وأصغر تفنگسازي، نشر پرسش، طهران، 1382هـ ش.**
5. **كوكلمانس، جوزيف. ي هيدگر وهنر (هايدغر والفنّ)، ترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد جواد صافيان، نشر: پرسش، عبّادان، 1388هـ ش.**
6. **مك كواري، جان، فقط خدا متواند ما را نجات دهد (الله وحده هو القادر علىٰ إنقاذنا)، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.**
7. **مك وورتر، ليدل، گناه تکنولوژی مديريت: دعوت هيدگر به تفكر (ذنب تكنولوجيا الإدارة: دعوة هايدغر إلى التفكير)، ص 171، مقال منشور في (فلسفه وبحران غرب)، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.**

8. مولر، ماكس، ما بعد الطبيعة وتاريخ تفكر مارتين هيدگر (ما بعد الطبيعة وتاريخ تفكير مارتين هايدغر)، أعدَّه وترجمه إلى اللغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، ص 126، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.

9. هايدغر، مارتين، پرسش از تكنولوژى، (السؤال عن التكنولوجيا)، المنشور في فلسفة التكنولوجيا، ص 4، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: شاپور اعتماد، نشر: مركز، طهران، 1389هـ ش.

10. هايدغر، مارتين، راه بازگشت به درون سرزمين ما بعد الطبيعة (طريق العودة إلى واحة ما بعد الطبيعة)، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.

11. هايدغر، مارتين، وارستگى: گفتارى در تفكر معنوى. (التحرُّر: مقالة في التفكير المعنويّ)، أعدَّه وترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: محمّد رضا جوزي وآخرون، ص 126، منشور في فلسفة وبحران غرب، نشر: هرمس، طهران، 1378هـ ش.

12. هايدغر، مارتين، نامه در باب انسان گرائى (رسالة في حقل النزعة الإنسانيَّة)، ص 294 و295، المنشور ضمن نصوص مختارة من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ترجمه إلى الُّلغة الفارسيَّة: عبد الكريم رشيديان وآخرون، نشر ني، طهران، 1388هـ ش.

بالأجنبيَّة:

1. Dreyfus, Hubert (2002). ‘Heidegger on Gaining a Free Relation to Technology’ in Heidegger Reexamined Volume 3: Art, Poetry and Technology, Hubert Dreyfus (ed.), New York: Routledge.

2. Heidegger, Martin (1977). ‘The Turning’, in The Question Concerning Technology and Other Essays (in English), William Lovitt (trans.), New York: Garland Publishing.

3. Heidegger, Martin (1968). What Is Called Thinking, Fred D. Wieck and J. Glenn Grey (trans.), New York: Harper and Row.

4. O'Brien, Mahon (2004). 'Commentary on Heidegger's 'The Question Concerning Technology'', in Thinking Together, Proceedings of the IWM Junior Fellows' Conference, Winter 2003, A. Cashin and J. Jirsa (ed.), Vienna: IWM Junior Visiting Fellows Conferences, Vol. 16.
5. Pattison, George (2000). The Later Heidegger, New York: Routledge.
6. Ridling, Zaine (2001). The Lightness of Being: A Comprehensive Study of Heidegger's Thought, Access Foundation Kansas City, Missouri.
7. Rojcewicz, Richard (2006). The Gods and Technology: A Reading of Heidegger, State University of New York Press.
8. Thomson, Iain D. (2011). Heidegger, Art and Postmodernity, Cambridge University Press.
9. 20- Thomson, Iain D. (2005). Heidegger on Ontotheology: Technology and the Politics of Education, Cambridge University Press.